بالبكاء كل حين ، واجعل لها زكاة من دمعك وان يكن البحر يأخذ الزكاة منها (١) . لو مزجت دجلة آهاتها بحرقة قلبها لانقلب نصفها جمدا ، ونصفها للنار موقدا (٢) هلم فناد الايوان بلسان الدمع حينا بعد حين فلعل قلبك يستمع جواب الايوان الحزين . ان هذه الشرفات لا تفتأ ترسل اليك العظات فأصخ واحسن الاستماع اليها : انها تقول: انت من التراب ، ونحن هنا من ترابك ، فامنحنا بعض خطواتك ، ولا تبخل علينا بعبراتك . ان بؤسنا صداعا من نعيب اليوم نهات من دمعك الجلاب (٣) ، وخفف عنا هذه الهموم . قد كنا مجالس للعدل وقد أصابنا من جور الزمان ماترى ، فكيف بقصور الجائرين ماذا أعد لها من النوائب ؟ ماالذى نكس هذا الايوان الذى يحاكى الفلك ؟ أحكم الفلك الدائر ، أم قضاء مدبر الفلك القادر ؟

أيها الضاحك من عيني الباكية اتقول مابيكيه هاهنا . ان العين التى لا تبكى هنا جديرة أن يبكى عليها . هلم فتمثل الايوان والكوفة معا ثم سعر من القلب تنورا وأفض من العين طوفانا (٤) . . . . ذلك هو الايوان الذى نقشت خدود الرجال على تراب عتبته جدارا من الدمى والصور . وتلك هى السدة التى كان يقف بها ملوك الديلم وبابل ، والهند والتركستان . تصور ذلك العهد ، وانظر بعين الفكر تر الصفوف مترادفة ، والمواكب متزاحمة .

لا تعجب فليس عجيبا أن ترى فى بستان هذه الدنيا أسراب البوم بعد البلابل ، وزفرات البكاء بعد ألحان الغناء . . . . سكرى هذه الأرض ، فقد شربت مكان الخمر دم قلب أنوشروان فى كأس من رأس هرمز . تقول أين ذهب أصحاب التيجان واحدا إثر واحد ؟ فانظر فهذه الأرض حبلى بهم الى الأبد . . . ان دم قلب شيرين (٥) هذه الخمر التى تشربها بوهذا الدن الذى يضعه الدهقان ماء بروين وطينته . كم ابتلع هذا التراب من أجساد الجبابرة ثم لا يزال نهما لا يشبع . . !!

ان القادمين من السفر يأتون بالهدايا لاخوانهم . وهذه القصة هدية الى قلوب الاخوان . ياخاقانى اسجد العبرة على هذه الابواب ليقف الخاقان مستجديا على بابك . اه

عبد الوهاب عزام

---

(١) يريد انها تصب فى البحر

(٢) يقال فى اللغة الفارسية (آه سرد) اى الآهة الباردة كناية عن الورقة الشديدة

(٣) يعنى أن الجلاب اى ماء الورد يداوى به الصداع .

(٤) لعله يشير الى الاسطورة التى تقول أن التنور فار فى موضع

(٥) شرين حبيبة كسرى بروين ولها قصة معروفة فى الادب الفارسى

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

١ — كيف نشأت بعد الحرب

للاستاذ محمد عبد الله عنان

شهدت اوربة فى العصر الأخير طائفة من الحركات والثورات القوية ، السياسية والاجتماعية ، التى قلبت نظم الحكم والمجتمع ، وغيرت مناحى التفكير والعواطف ، وأثرت فى سير السياسة الدولية اعظم تأثير

ولاريب أن الثورة الفاشستية الايطالية ، والثورة الوطنية الاشتراكية الالمانية او الحركة الهتلرية او النازية ، هما اعظم هذه الحركات والثورات التى بعيدة المدى والآثار فى مصاير اوربة الحديثة والمجتمع الاوربى القديم . والثانية وليدة الاولى فى معنى من المعانى ، وشبيهتها فى بعض الغايات وفى كثير من الوسائل والاجراءات . ولكنها تختلف عنها فى البواعث والظروف التى نشأت فيها ، وفى الغايات الجوهرية التى تعمل لها ، ثم تختلف عنها فى طوالعها ، وفى الآثار التى احدثتها ومازالت تحدثها فى سير السياسة الدولية وفى الرأى العالمى

ولعل اعظم ماتتفق فيه الحركتان الايطالية والالمانية انهما عملتا معا لسحق الشيوعية ، ولتحطيم النظم الدستورية والديمقراطية كلها ، والقضاء على الحريات العامة وكثير من الحريات الفردية بوسائل متماثلة ولغايات متماثلة . وقد كان تفاقم الفوضى الاشتراكية والشيوعية فى ايطاليا عقب الحرب الكبرى اكبر عامل فى وثوب الفاشستية الايطالية . ولكن اكبر عامل فى وثوب الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية هو معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) وما فرضته على المانيا من صنوف التمزق والذلة والمغارم ، وما بثته شروطها وفروضها الفادحة فى الشعب الالمانى من يأس وتهالك وانحلال . ويكفى ان نذكر ان معاهدة فرساى قضت باقتطاع الألزاس واللورين ، ووادى السار ، وسيليزيا العليا ، ودانتزج ، وقسما من شلزفيج من المانيا ؛ وقضت بانشاء الممر البولونى داخل ارضها ليمزق بروسيا الشرقية الى شطرين ؛ وقضت بتجريد المانيا من سلاحها وسحق عسكريتها التاريخية ، وتحطيم اسطولها الضخم وجعلها من حيث الدفاع القومى كأصغر دولة ثانوية ؛ وقضت على المانيا بتحمل مسئولية الحرب الكبرى ومن ثم بالزامها بتعويضات مالية فادحة استنزفت مواردها وقوى شعبها ، واحتل الحلفاء من

اجل ذلك بعض مناطق الرين الالمانية مدى اعوام ، وجردت المانيا من جميع مستعمراتها . واستمر الحلفاء بعد الحرب مدى اعوام يعاملون المانيا بمنتهى العسف والشدة والكبرياء ؛ ولم يكن للمانيا فى تلك الاعوام العصيبة سلاح تشهره للمقاومة او الاحتجاج المجدى ولم يكن فى وسعها الا التسليم والاذعان فى معظم الاحوال

لبثت المانيا مدى اعوام وهى تتخبط فى غمر من الصعاب والازمات الفادحة . ثم كانت نكبة هبوط المارك سنة ١٩٢٣ ، وجاء التضخم النقدى كالسيل فقضى على معظم الثروات ، وقضى على الطبقات الوسطى بنوع خاص ، ودفعها الى حضيض البؤس والفاقة ، وبث الى التعامل قوضى لم يسمع بها ؛ وهبت على الشعب الالمانى ريح قوية من الدمار واليأس كادت تذهب بما بقى له من أمل وقوى معنوية . وكانت الدعوات الثورية التى تثب دائما فى غمر اليأس والانحلال تعمل من جهة أخرى عملها ، فاشتد ساعد الشيوعيه ، واخذ شبح البلشفية يساور المانيا ويهدد مصايرها ، وكان الشعب الالمانى فى تلك الايام السود يعيش فى نوع من الاستسلام لا يكاد يرى طريقا للخلاص من هذه المصائب المتعاقبة والظلمات الكثيفة

ولكن المانيا استطاعت منذ سنة ١٩٢٤ ان تشعر بشىء من الامل والثقة ، ذلك ان الحلفاء انفسهم ادركوا ان العمل على ارهاق المانيا وخرابها لا يعاون المانيا على الوفاء بشروط الصلح بل يدفعها الى براثن البلشفية المتحفزة . والبلشفية خطر داهم على الدول الغربية . والمانيا هى حاجزه من الشرق . ثم ان فرنسا اقنعت منذ أقدمت على احتلال وادى الروهر فى خريف سنة ١٩٢٣ لكى ترغم المانيا على اداء أقساط التعويضات ، أنها ارتكبت خطأ فادحا ولم تفعل سوى أن أثارت فى المانيا التى جنحت عندئذ الى المقاومة السلبية روحا جديدا من النضال والتضامن ، وان باقى الحلفاء ولاسيما انكلترا لا يؤيدونها فى هذه السياسة العنيفة ، وانها ستتحمل وحدها تبعات سياسة خطرة ، وهنا تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ المانيا المعاصر ، وتنحسر الظلمات من حولها نوعا ، وتجد فى تلك الآونة العصيبة رجلها المنقذ فى شخص الدكتور جوستاف شتريزمان الذى تولى رآسة الحكومة عندئذ (اغسطس سنة ١٩٢٣) ثم غادر الرآسة بعد قليل ليتولى وزارة الخارجية فى الحكومات المتعاقبة مدى اعوام . وكان شتريزمان سياسيا وافر البراعة ، استطاع ان يقود المانيا خلال هذه الغمار الكثيفة بذكاء وجلد ، وان يحررها من كثير من فروض معاهدة الصلح ، وكانت مسألة مسئولية الحرب التى سجلت على المانيا فى معاهدة فرساى واتخذت اساسا لفرض التعويضات والمغارم الفادحة عليها موضع الجدل المستفيض ، وكانت الوثائق والمذكرات والبحوث المختلفة فى المانيا وانكلترا وامريكا تلقى عليها الضياء تباعا ، ويبدو للرأى العالمى شيئا فشيئا ان القول بمسئولية المانيا وحدها عن اثارة الحرب ، نظرية حصلت معرضة ، فكان الاساس الذى بنى عليه الزام المانيا بتعويضات الحرب ينهار شيئا فشيئا ، وبذا اعيد النظر فى مسألة التعويضات ، وسويت لاول مرة بمشروع داوز ثم بمشروع يونج ، وكانت المانيا تظفر فى كل خطوة بتخفيضات وتسهيلات جديدة ، ولكن المغارم التى بقى على المانيا ان تؤديها لبثت مع ذلك فادحة تحطم موارد اغنى الشعوب . وفى سنة ١٩٢٥ ، انتهت جهود شتريزمان الجلدة الى عقد ميثاق لوكارنو بين المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وبلجيكا وبه ضمنت سلامة فرنسا وحدود المانيا الغربية كما قررتها معاهدة الصلح ضمانا متبادلا تشترك فى تأييده كل الدول الموقعة ، واكدت المانيا بذلك انها تركت التفكير نهائيا فى مسألة الالزاس واللورين وصفا الافق الدولى بذلك نوعا ، ودخلت المانيا عصبة الامم فى سبتمبر سنة ١٩٢٦ ، وجلست فى كرسيها الدائم الى جانب اعدائها بالامس ، وبدأ عهد جديد من التفاهم والتقرب من بين فرنسا والمانيا ، وكان شتريزمان رجل المانيا فى تلك المراحل ، كما كان ارستيد بريان رجل فرنسا . وكان كلا السياسيين العظيمين يؤمن بقضية السلام وعقد الوفاق والتفاهم بين الامتين . واستمرت هذه السياسة حتى توجت بظفر جديد لشتريزمان هو حمل فرنسا على الجلاء عن مناطق الرين المحتلة فى خريف سنة ١٩٢٩ قبل الموعد الذى حددته المعاهدة . وكان ذلك آخر ظفر للسياسى العظيم ، اذ توفى بعده بقليل فى اكتوبر سنة ١٩٢٩

وكانت وفاة شتريزمان خسارة فادحة لألمانيا اذ فقدت بذهابه اعظم سياسى اخرجته بعد الحرب وضربة جديدة لسياسة الوفاق والتفاهم التى جرت المانيا عليها مدى اعوام وجنت ثمارها كما تقدم . وقد حاول الساسة الذين خلفوا شتريزمان فى تولى مصاير المانيا مثل فون ميلر زعيم الحزب الاشتراكى الديموقراطى ثم برينتج ، ان يتابعوا سياسته ولكن دون نجاح . اولا لان حالة الاستقرار النسبى الذى تمتعت به المانيا بضعة اعوام اخذ يضطرب نظرا لاشتداد ساعد الحركات والاحزاب المعارضة لهذه السياسة ؛ وتفكك الاحزاب التى تناصرها ، ونهوض الحركة الوطنية الاشتراكية بالاخص ، وثانيا لان نفوذ بريان فى فرنسا اخذ فى الضعف ؛ واخذت الجبهة التى كانت تناصره تشعر بعقم سياسته واخذت الجبهة العسكرية القوية من جهة اخرى تقاوم كل تساهل جديد مع

المانيا ، وتندد بخطر هذه السياسة على سلامة فرنسا . وتوفى بريان بعد ذلك بعامين (اوائل سنة ١٩٣٢) وكان اضطراب افق السياسة الاوربية يزداد شيئاً فشيئاً . وظهرت ميول المانيا قوية فى التحرر من اغلال معاهدة الصلح فى مسألة التعويضات ، ونزع السلاح ، ومسائل الحدود التى تعتبرها المانيا جوهرية ، لسلامتها ، واصرت فرنسا على التمسك بنصوص المعاهدة بحجة المحافظة على سلامتها ؛ وبدأ عهد من النضال الواضح بين الدولتين هو الذى نشهده اليوم فى ذروة عنفه واهميته .

* * *

هذه خلاصة موجزة لتاريخ ألمانيا بعد الحرب ، وهذه هى نفس الحوادث والظروف التى نشأت فى مهادها الحركة الوطنية الاشتراكية . فمنذ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، اعنى مد نشبت الثورة التى انتهت باعلان الجمهورية واختفاء الامبراطورية من الميدان ، وقيام الحكومة الشعبية الاولى برآسة ايبرت لتقبل شروط الهدنة ؛ ومذ عقدت الجمعية الوطنية فى فيمار (٦ فبراير سنة ١٩١٩) لتضع دستوراً ديموقراطيا لالمانيا ؛ ظهرت فى الميدان أقلية تضم بالخيانة العظمى تلك الكتلة الاشتراكية الديمقراطية التى أيدت الثورة واستولت على مقاليد الحكم ، وقبلت الهدنة ثم معاهدة الصلح . وكان قوام هذه الاقلية بالاخص جمع من القادة والضباط القدماء أنصار الامبراطورية : وكانت أثناء تلك الازمات العصبية التى غدت ألمانيا فيها فريسة الحرب الاهلية بين الديمقراطيين والشيوعيين بينما كان العدو الظافر يملى عليها شروطه وينقل كاهلها بفروضه وأغلاله ، ترقب مصاير ألمانيا فى غمر من الحسرات واليأس ؛ ولم تكن يومئذ قوية ولا منظمة ، ولكنها كانت منذ الساعة الاولى تتلمس السبل لانقاذ ألمانيا مما اعتقدت أنه منحدر الخطر والانحلال . وكان مركزها بالاخص فى باڤاريا ، فى مدينة ميونيخ التى لم يجرفها تيار الدعوة الاشتراكية كما جرف العاصمة البروسية (برلين) . وكان الشرق الذى يسود جهة اليسار (الديموقراطية والشيوعية) يفسح بعض الامل لهذه الجهة « الوطنية » الناشئة . فى مارس سنة ١٩٢٠ بدأت أول محاولاتها على يد الجنرال فون لتفتز والدكتور فون كاب واستولت على مقاليد الحكم ، ولكنها لم تثبت سوى أيام قلائل : وفشلت هذه الوثبة الاولى (Putsch) ، ولكنها كانت بداية ذلك الصراع الذى شهرته الجبهة الوطنية المحافظة على الجمهورية الفتية ؛ وكانت بالاخص دليلا على أن الجمهورية ليست من المناعة بحيث يستحيل غزوها وتحطيمها .

وكان بين الجماعات الوطنية المحافظة التى اتخذت ميونيخ مركزاً لها ، حفنة من الرجال المغمورين عرفت باسم « حزب العمال الالمانى » وزعيمها صف ضابط فتى يدعى « ادولف هتلر » . وكانت تضم ستة رجال فقط فى سنة ١٩١٩ حين انضم اليها هتلر . ويقول لنا هتلر فى كتابه « جهادى » (١) ، انه حين هبط ميونيخ فى ذلك الحين لم يكن يدرى أن ينظم الى أى حزب قائم ، بل كان يريد أن يؤسس لنفسه حزبا جديداً ، ولكنه انضم الى هذه الجماعة المتواضعة ، وغدا منظمها وزعيمها ومن ذلك الحين يظهر اسم هتلر على مسرح التاريخ الالمانى المعاصر ، كزعيم وداعية وطنى متطرف ، وتسير عصبته المغمورة الى ميدان الحوادث والظهور ، وتزداد فى العدد والنفوذ بسرعة ، وتشق طريقها بعزم وجلد

ويجب قبل أن نتقدم فى تتبع هذه الحركة الوطنية المحافظة أن نعرف القارئ بادولف هتلر ، ذلك الفتى المغمور الذى شاء القدر أن يغدو اليوم زعيم المانيا ، وسيدها المسيطر على مصايرها

ولد أودلف هتلر سنة ١٨٨٩ فى بلدة براونا من أعمال النمسا العليا على مقربة من الحدود البافارية فى أسرة نمسوية متواضعة ، فهو اذن نمسوى الجنس والنشأة . وكان أبوه موظفا صغيراً فى الجمارك ، فتلقى تربية عادية . وتوفى والداه قبل أن يجاوز الحداثة . وفى السابعة عشرة ألقت به يد القدر الى العاصمة النمسوية فنزحها وحيداً بائسا لا عائل له ، أو على قوله : « لا يحمل سوى حقيبة من الملابس ، ولكن يحمل فى قلبه عزما لا يقهر » (١) وأراد هتلر أن يدرس التصوير فلم يوفق لفقره ، ورمت به المقادير الى صناعة البناء يدرسها ويكسب منها قوته : فاشتغل مدى حين صبى بناء ، يعيش فى ضعة ومسغبة ، فلما لم يبتسم له الحظ فى العاصمة النمسوية ، نزح الى ميونيخ يبحث وراء طالعه : ولما نشبت الحرب الكبرى التحق بفرقة بافارية باذن خاص من حكومته . وقاتل مع الجيش الالمانى فى الميدان الغربى ، وظهر باقدامه وشجاعته وكرفى بوسام « الصليب الحديدى » . وأصيب فى أواخر الحرب من الغازات الخانقة فحمل عليلا الى ألمانيا : ولزم فراشه حتى انتهت الحرب وعقدت الهدنة . ويقول لنا هتلر انه بكى حزنا وتأثراً حينما سمع بخبر الهدنة . كما أنه شكر الله حين نشبت الحرب ، وما كاد يبرأ من علله حتى عاد الى ميونيخ وانضم الى اولئك الستة الذين اطلقوا على انفسهم « حزب العمال الالمانى » ، فلم يلبث ان غدا قائدهم وزعيمهم ، واتخذ للجماعة اسما آخر هو « حزب السلام الوطنى الاشتراكى الالمانى » .

محمد عبد الله عنان

(١) Mein Kamlpf (Münch ... p. 5)